قال : " الشافعي " : وضع ا رسوله من دينه وفرْضِه وكتابه الموضعَ الذي أبان - جل ثناؤه - أنه جعله عَلَمًا لدينه بما افترض من طاعته وحرّم من معصيته وأبان من فضيلته بما قَرَن من الإيمان برسوله مع الإيمان به .

فقال تبارك وتعالى : " فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا : ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ . إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ (171) " [النساء] .

[ص 75] وقال : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ (62) " [النور] .

فجعل كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تَبَع له : الإيمانَ با ورسوله .

فلو آمن عبد به ولم يؤمن برسوله : لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً حتى يؤمن برسوله معه .

وهكذا سَنَّ رسولُ ا في كل من امتحنه للإيمان .

أخبرنا " مالك " عن " هلال بن أسامة " عن " عطاء بن يسار " عن " عُمَر بن الحَكَم " قال : " أتَيْتُ رسولَ ا بِجَارِيَةٍ فَقُلْتُ : يا رَسُولَ ا عَلَيَّ رَقَبَةٌ أَفَأَعْتِقُهَا ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ ا : أَيْنَ ا ؟ فَقَالَتْ : فِي السَّمَاءِ . فَقَالَ : وَمَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ ا . قَالَ : فَأَعْتِقْهَا " (1) .

[ص 76] قال " الشافعي " : وهو " معاوية بن الحكم " وكذلك رواه غيرُ مالك وأظن مالكً (1) لم يحْفَظ اسمَه .

قال " الشافعي : " ففرض ا على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله .

فقال في كتابه : " رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ . إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) " [البقرة] .

وقال جل ثناؤه : " كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) " [البقرة] .

[ص 77] وقال : " لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (164) " [آل عمران] .

وقال جل ثناؤه : " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (2) " [الجمعة] .

وقال : " وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ (231) " [البقرة] .

وقال : " وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113) " [النساء] .

وقال : " وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ [ص 78] اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (34) " [الأحزاب] .

فذكر الله الكتاب وهو القُرآن وذكر الحِكْمَة فسمعتُ مَنْ أرْضى من أهل العلم بالقُرآن يقول : الحكمة سنة رسول الله .

وهذا يشبه ما قال والله أعلم .

لأن القُرآن ذُكر وأُتْبِعَتْه الحكمة وذكرَ الله منَّه على خَلْقه بتعليمهم الكتاب والحكمة فلم يَجُزْ - والله أعلم - أن يقال الحكمة هاهنا إلا سنةُ رسول الله .

وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله وأن الله افترض طاعة رسوله وحتَّم على الناس اتباع أمره فلا يجوز أن يقال لقول : فرضٌ إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله .

لِمَا وصفنا من أنَّ الله جَعَلَ الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به .

[ص 79] وسنة رسول الله مُبَيِّنَة عن الله معنى ما أراد دليلاً على خاصِّه وعامِّه ثم قرن الحكمة بها بكتابه فاتبعها إياه ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله .

_____ .

(1) موطأ مالك : كتاب العتق والولاء / 1269 مسند أحمد : باقي مسند الأنصار / 22645 سنن النسائي : كتاب الوصايا / 3593 .

(2) هكذا رُسم منصوباً بغير ألف وهو جائز على لغة بني ربيعة وقدمنا التعليق عليه